



ممنون الفيلسوف

او الحكمة الانسانية

بقلم فولتير

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

آلى ممنون على نفسه : أن يصير فيلسوفاً عظيماً في يوم من الأيام . وقليل من الناس هم الذين لم يعتزموا في وقت ما مثل هذا العزم للرائع .

قال ممنون في نفسه : إن بلوغ الكمال في الفلسفة معناه بلوغ الكمال في السعادة . وليس على أن أعمل لكي أصير فيلسوفاً إلا التجرد من كل الشهوات ؛ ولا شيء أسهل من ذلك كما

يعرف كل إنسان . وسأبدأ بمقاومة الحب فإذا رأيت امرأة جميلة أقول في نفسي إن هذه الحدود ستدركها الغضون ، وإن هذه العيون ستصبح طعاماً للدود ، وإن هذا الرأس سيصبح جمجمة منخوبة . فإذا ما تصورت خيالها وهي كذلك فإن جمال وجهها لن يؤثر في نفسي

هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإني سألزم القصد والاعتدال ، فإذا ما وجدت من نفسي إغراء على شرب النبيذ الشهى أو الطعام المرء أو غيره مما يفتن به المجتمع ذكرتها بآلام الرأس من التغالى في الشراب ، وبآلام البطن من التغالى في الطعام ، وحذرتها من فقدان العقل والصحة . ومتى نجحت التغالى ظلت صحتي موفورة وظل ذهني نقياً وضاه
وقال ممنون : كذلك يجب ألا أفكر كثيراً في الثروة لأن رغائبي معتدلة وما عندى من المال يكفي لأن أعيش مستقلاً

ويتضمن هذا الجزء الذي صدر أخيراً تعليقات المستشرق نيكلسن على الجزء الأول والثاني من الكتاب ، أما الأجزاء التي ظهرت من قبل فهي :

١ - نص الكتابين الأول والثاني .

٢ - ترجمة الكتابين الأول والثاني إلى الإنجليزية .

٣ - نص الكتابين الثالث والرابع .

٤ - ترجمة الكتابين الثالث والرابع إلى الإنجليزية .

٥ - نص الكتابين الخامس والسادس .

٦ - ترجمتهما إلى الإنجليزية .

لجنة أمباء ذكرى المنفلوطي :

ناشدة لجنة إحياء ذكرى المنفلوطي أساطين الأدب وأعلام البيان في الشرق العربي على صفحات الجرائد والمجلات أن يفضّلوا بالكتابة عن أدب الفقيد الخالد من شتى نواحيه

بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاماً على وفاته وتمييداً لإحياء ذكره في ١٦ يوليو القادم ، وكان ذلك في أول مايو غير أنه والأسف يحز في نفوسنا لم يتحرك قلم لاداء هذا الغرض النبيل كما أنه لم تصل السكرتارية حتى الآن أية رسالة في هذا الموضوع ، ولقد قر الرأي - بناء على اقتراح الاستاذ توفيق حبيب - على وضع كتاب عن أدب المنفلوطي لتخليد ذكره ، تتبارى فيه جهابذة الأدباء في جميع أقطار الشرق العربي ، وذلك بأن يختار كل من حضرات الأدباء والشعراء ما يروقه من الموضوعات فيكتب فيها بحثاً ضافياً يرسله إلى السكرتارية قبل آخر يونيو الحالي حتى إذا تكامل لديها ما يكفي لمادة الكتاب قامت بطبعه وأنفقت ثمنه في تشييد قبر يتفق ومكانة المنفلوطي العالمية . واللجنة تتوجه بالرجاء الشديد إلى حضرات الكتاب والأدباء والشعراء ألا يضنوا بمجهوداتهم وأن يحققوا ما تعلقه عليهم من آمال .
سكرتير اللجنة متولى حسنين عقيل

العم الذي كانت تشكوه ؟ لقد جاء مسلحاً ، وكانت أولى كلماته أنه سيضحي بالحكيم ممنون ، وبنت أخيه ، وقد أسرعت الأخيرة فقرت ، وهي موقنة بأن صاحبها سينجو إذا اشترى حياته بكل ما معه من المال . وقد اضطر إلى بذل ما معه ليفتدي نفسه وقد كان الناس في ذلك العهد سعداء لأنهم يستطيعون النجاة ، بسهولة يمثل هذه الوسيلة . وكانت أمريكا لما تنكشف بعد ، وكان السيدات التاعسات أقل تعرضاً للخطر مما هن عليه الآن وخرج ممنون من المنزل متعثراً بأذيال الخجل فذهب إلى منزله . وهناك وجد دعوة إلى تناول العشاء من بعض أصدقائه الخُلصاء ، فقال في نفسه إذا بقيت وحدي في المنزل فإن ذهني سيظل مشغولاً بالتفكير في حادثة اليوم ، ولا أستطيع أن أتناول لقمة ، وربما جلب إلى ذلك مرضاً ، ولذلك سأذهب إلى أصدقائي . وسأنسى في مجلسهم ما ارتكبته اليوم من الخفاقة وذهب إليهم فوجدوا عليه بعض علامات القلق وحشوه على أن يشرب ليصرف عن نفسه الهم فقال في نفسه : إن قليلاً من النبيذ لا يتنافى مع الاعتدال ، وهكذا شرب ممنون حتى سكر .

ودعى إلى اللعب بالأوراق فقال إن اللعب بها مدة يسيرة مع صديق لا يتنافى مع الاعتدال . وهذا اللعب من خير الوسائل لتبضية الوقت . ولعب حتى خسر كل ما معه وهو أربعة أضعاف ما كان مستعداً ليلعب به .

ولسبب ما نشأ خلاف بين اللاعبين واشتد الخلاف فصار مشاجرة ، فرماه بعض أصدقائه بصندوق صغير جرح رأسه وإحدى عينيه ، فحمل الفيلسوف ممنون إلى منزله سكران مفقود لإحدى العينين .

نام . ولما أبل بعض الأبلال أرسل إلى مدير المصرف الذي يودع فيه أمواله يطلب ما بقي به ديونه في اللعب ، فعاد الخادم وأخبره بأن المصرف أفلس بالتدليس وأن مئآت من الأسر قد أصبحت في أشد حالات البؤس والفاقة ، فكاد يذهل ممنون ، وذهب إلى البلاط لرفع قضيته ، وهناك وجد عدداً من السيدات وآخر من القسس ورأته إحدى صديقاته فصاحت : « مالك يا مسيو ممنون ! كيف فقدت إحدى عينيك ؟ » ثم جرت دون أن تنتظر الجواب ، فانتظر ممنون حتى الساعة

وهذه أكبر نعمة في الوجود . ولن أجد ضرورة لحضور حفلات الرافضة في القصر . ولن أحسد إنساناً ولن يحسدي إنسان . وهذا كله سهل . ولي أصدقاء ، سأحتفظ بهم ولم ينشب بيني وبينهم خلاف فلم أعترض أحدهم في قول أو فعل وسيسلكون معي هذا المسلك . ولا صعوبة في ذلك ...

وهكذا وضع ممنون خطة لفلسفته ثم أطل من النافذة فرأى امرأتين تسييران تحت الأشجار ، وكانت أحدهما كبيرة تبدو عليها علامت الرضى ، والثانية صغيرة جميلة . ولكن علامت التذمر بادية عليها . وكانت تبكي وتتنهد ، فتأثر فيلسوفنا من رؤيتها . على أنه من المحقق أن جمالها لم يكن له دخل في هذا التأثير . (لأنه آلى على نفسه ألا يزججه شيء من هذا القليل) بل كان تأثيره بسبب الحزن الذي رآها فيه ، فنزل من المنزل ليعزي تلك السيدة . بفلسفته ، فروت له الجميلة بأبسط اللهجات وأشدّها تأثيراً ما تتألم منه . وشكت له من عم تخيل وجوده يريد أن يحرمها ثروة تتوهمها . وقالت : يظهر أنك رجل حكيم . وإنك لتقدني من متاعبي إذا أتيت إلى منزلي ودرست قضيتي وأشرت على بالرأى الذي تراه

فلم يتردد ممنون في اتباعها لدرس قضيتها دراسة فلسفية ويشير عليها بالرأى الراجح وقادته المرأة الجميلة إلى حجرة تفوح منها روائح العطر وأجلسته على نمرقة متسعة وجلست أمامه جلسة المتحدث إلى من يتحدث وقد تقاربت أقدامهما . وكان أحدهما يقص قصته والآخر يصغى إليه أتم الأصغاء .

وكانت السيدة تتكلم وهي ناظرة إلى الأرض والدموع تنحدر من عينيها بين حين وحين . ثم ترفع بصرها لتتأمل وجه الحكيم ممنون . وكان الحديث في منتهى الرقة . وقد زاد عطف الفيلسوف وسر بأن يكون في وسعه تخفيف الألم عن مخلوقة هذه الدرجة من الجمال ، وهذه الدرجة من التعاسة . ولما اشتدت حرارة الحديث جلس المتحدثان المتقابلان جنباً لجنب ، وتدفان الساقان ، وكان ممنون يمنحها من نصحه الرقيق ومن عطفه حتى صار كلاهما لا يستطيع الكلام عن الموضوع الذي كانا يتناولانه . وحتى صار كل منهما لا يدري أين هو وفي مثل هذا الحين من الذي يظن أنه يأتي إليهما غير

التي يستطيع فيها الارتقاء على قدمي الملك لبث شكواه .

وأخيراً جاءت تلك الساعة فقدم إليه عريضته . واستقبله الملك إستقبلاً حسناً . ولكن كبير الأمراء صاح به بعد ذهاب الملك : « كيف تقدم عريضتك إلى الملك مباشرة دون تقديمها إلى ؟ وكيف تطلب المقاضاة على تفليسة شريفة ضد ابن أخت وصيفة زوجتي ؟ إن هذا التصرف يدل على أنك لا تحرص على عينك الأخرى ،

فعند ما سمع ممنون ذلك — وكان إلى الآن عازماً على هجر النساء والتقليل من الطعام والشراب وترك المشاجرة — عزم أيضاً على الكف عن دخول البلاط وعن طرق سبيل القضاء لأن هذا السبيل الحق به الإهانة وحرمة الانصاف وتصدع قلبه من الحزن فعاد إلى المنزل يائساً . ولكنه وجد المحضرين يشرعون في بيع أثاثه وفاء لديون دائنيه فوقع على الأرض في حالة تشبه الاغماء . ورأى في الطريق السيدة التي قابلها في الصباح مع عمها فضحكاً منه ضحكة عالية . وفي المساء صنع ممنون لنفسه وسادة من القش ونام بجانب الحائط ، فرأى في الحلم تلك الروح الفلسفية التي كان يتعشقها وهي روح من النور لها ستة أجنحة جميلة . ولكن ليس لها رأس ولا قدمان وهي لا تشبه شيئاً مما سبقته رؤيته ، فقال : « من أنت أيتها الروح ؟

قالت : « أنا روحك ، فقال : « ردى إلى عيني وصحتي وثروتي وعقلي ،

ثم قص عليها قصة يومه فقالت : « هذه حوادث لا تحدث في الموطن الذي أنا فيه . »

قال : « وأين ذلك الموطن ؟ ، فأجابته : « هو على بعد خمسمائة مليون فرسخ من الشمس ، وهو موطن جميل . وليس هناك شياطين تغرى ولا أصدقاء يجالسون المرء ليسلبوا ماله ، وليس هناك من يخرقون عيون الناس ، ولا إفلاس بالتدليس ، ولا أمناء ملوك يسخرون ممن يطلب العدالة ؛ وليست نخدعنا النساء لأنه لا نساء بيننا ، وليس عندنا طعام ولا شراب ، وليس عندنا تفليس لأنه لا ذهب عندنا ولا فضة ، وليس لنا عيون تقلع لأن أجسادنا نورانية ليست كأجسادكم . وليس عندنا بلاط لأن الكل متساوون . »

قال ممنون الفيلسوف : « إذا لم يكن عندكم نساء ولا طعام

ولا شراب فكيف تقضون أوقانكم ؟ ،

قالت : « نحن موكلون إلينا مراقبة ديننا كم وقد جئت إليك لأعزيك . »

قال ممنون : « ولكن لماذا لم تأتي بالأمس لتنعيني من اقتراف ما اقترفت ؟ ،

فقالت : « لقد كنت مع أخيك الأكبر « حسن » الذي كان في بؤس أشد من بؤسك لأن سلطان الهند أمر بقطع عينيه وهو الآن في السجن ويدها ورجلاه في السلاسل والأغلال ، قال : « وهل من العدل أن يكون اثنان من أسرة واحدة أحدهما أعور والثاني أعمى ، وأحدهما ينام على وسادة من قش والآخر في السجن ؟ ،

فقالت الروح : « إن حظك سيتغير سريعاً . نعم إن عينك لن تشفى ولكنك ستصير سعيداً إذا نزعت عن فكرك الرغبة في أن تكون فيلسوفاً كاملاً .

قال ممنون : « إذن فذلك مستحيل آ ، فقالت الروح : « إنه لمن المستحيل أن يصير المرء كامل العقل كامل السعادة ، فنحن أنفسنا بعداء عن الكمال مع أننا أرواح . وسيأتي عالم غير هذا العالم يكون ذلك كله ممكناً فيه . ولكن بيننا وبين هذا العالم مائة ألف مليون من العوالم يتدرج فيها المرء إلى ذلك العالم الكامل . وفي كل درجة من تلك الدرجات العالية تنقص الفلسفة وتنقص المسرات بالتدريج حتى يصير الناس في العالم الكامل كلهم بلهاء ،

قال ممنون : « أخشى أن تكون هذه العوالم التي تتدرج فيها إلى الكمال ليست إلا مستشفيات للجذائب وإن عالمنا هذا ليس إلا واحداً منها ،

فقالت الروح : « إذا لم يكن هذا الوصف منطبقاً فإنه ليس بالبعيد ،

قال : « ولكن هل الشعراء والفلاسفة مخطئون إذ يقولون إن كل شيء في هذا الوجود آخذ في سبيل الارتقاء ،

فقالت : « كلا ليسوا مخطئين ولكن لكي ندين الصدق فيما يقولون يجب أن نراعي صلة كل شيء بمجموعة العالم فانما كمال الأشياء أن يتم اتصالها بالعالم لصالح العالم ،

فأجاب ممنون : « لست أستطيع تصديق ذلك إلا إذا رجعت

إلى عيني ،

عبر اللطيف القسا .